

الجينياولوجيا الأخلاقية في فكر الإمام علي (عليه السلام): نحو تأسيس
معيارية الحق في مواجهة نسبية القوةد. جاسم الموسوي¹¹ مشرف تربوي أقدم أول - مديرية تربية ذي قار - العراق

ملخص. تحاول هذه الدراسة أن تعيد قراءة مفهوم الجينياولوجيا الأخلاقية من خلال نافذة فكر الإمام علي بن أبي طالب (ع)، وأن تضعه في حوار نقدي مع الصيغة التي بلورتها الفلسفة الحديثة، وبخاصة لدى فريدريك نيتشه وميشيل فوكو. تنطلق الدراسة من سؤال مركزي: هل في الإمكان بناء جينياولوجيا أخلاقية لا تقع في شرك النسبوية، وتحافظ على معيارية ثابتة للحق، بينما تكشف في الوقت نفسه عن مسارات الانحراف في التاريخ؟ ترى الدراسة أن فكر الإمام علي يقدم صيغة مغايرة للمشروع الجينياولوجي الغربي؛ فهو لا يتتبع نشأة القيم لتفكيكها وإسقاطها، بل يكشف عن الآليات التي تنحرف بها عن معيار سابق يفترض فيه الثبات. تستند الدراسة إلى تحليل نصوص مختارة من "نهج البلاغة"، ومقارنتها بمقولات نيتشه وفوكو الأساسية، مستعينة بمنهج تحليلي-مقارن متكامل مع المنهج التاريخي النقدي. وتخلص إلى أن ما يمكن أن نطلق عليه "الجينياولوجيا العلوية" تؤسس لـ "جينياولوجيا الحق"، حيث يتجه النقد إلى تاريخ الانحراف لا إلى أصل الحقيقة. هذا التصور يفتح، بحسب الباحث، أفقاً جديداً في فلسفة الأخلاق الإسلامية المعاصرة، ويقدم إمكانية لنقد أخلاقي يحاكم السلطة بمعايير لا تذوب في نسبية الخطابات.

الكلمات المفتاحية: جينياولوجيا أخلاقية، الإمام علي، نهج البلاغة، معيارية الحق، ميشيل فوكو، نسبية القوة

Abstract

This study reexamines the concept of moral genealogy through the intellectual framework of Imam Ali, placing it in critical dialogue with modern formulations, particularly those of Nietzsche and Foucault. It addresses a central question: is it possible to construct a

non-relativistic genealogy that preserves a stable of truth while exposing historical deviations? The research argues that Imam Ali's thought offers an alternative model that traces the genealogy of deviation rather than deconstructing truth itself. By employing a comparative analytical methodology, the study highlights fundamental differences between the two paradigms. It introduces the notion of a "genealogy of truth" grounded in ethical objectivity. This model opens new horizons for contemporary Islamic moral philosophy and critical theory

Keywords: Moral Genealogy, Imam Ali, Nahj al-Balagha, Normativity of Truth, Michel Foucault, Relativism of Power

مقدمة

أولاً: مشكلة البحث

شهد مفهوم "الجينالوجيا" في الفكر الغربي الحديث تحولاً عميقاً. فمع نيتشه، تحول من مجرد تتبع تاريخي محايد إلى أداة تفكيكية جريئة، تكشف عن جذور القيم الأخلاقية في إرادة القوة والاستياء (Nietzsche, 2006, p. 20)، ثم جاء فوكو ليوظفه في تحليل الخطابات، وكيفية تشكل "الحقيقة" داخل شبكات السلطة والمؤسسات (Foucault, 1977, p. 145). لكن هذا التحول ارتبط في الغالب بنزعة نسبية؛ إذ أفضى في نهاية المطاف إلى التشكيك في أي معيار ثابت للحقيقة، وجعل من مفاهيم مثل "العدل" و"الخير" مجرد انعكاسات لموازن قوى متغيرة.

هنا يبرز سؤال فلسفي ملح: هل يمكن تصور جينالوجيا أخلاقية في التراث الإسلامي تحافظ على معيارية ثابتة للحق، ولا تزال قادرة على كشف تاريخ انحرافه؟ بعبارة أخرى: هل يمكن للجينالوجيا أن تكون أداة للدفاع عن المعيارية لا لهدمها؟

ويرى الباحث أن فكر الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) يقدم مادة خصبة لهذا النوع من التفكير، فهو يجمع بين تحليل ثاقب لتاريخ الانحراف وتمسك راسخ بثبات المعيار الأخلاقي، ومن هذا المنطلق، يسعى البحث إلى الإجابة عن السؤال الآتي: كيف يمكن تأسيس جينالوجيا أخلاقية غير نسبية انطلاقاً من فكر الإمام علي (عليه السلام)، وما الذي يميزها عن النموذج (النيتشوي - الفوكوي)؟

ثانياً: الفجوة البحثية

من خلال استقراء الأدبيات السابقة، يمكن تسجيل ثلاث ملاحظات أساسية تبرز الحاجة إلى هذه الدراسة:

1. تركزت الدراسات حول الجينياولوجيا بشكل شبه حصري على نيتشه وفوكو، مع إهمال شبه تام لإمكانية وجود نماذج جينياولوجية مغايرة في تقاليد فلسفية أخرى، ومنها الإسلامية.
2. الدراسات التي تناولت فكر الإمام علي (عليه السلام) ركزت غالباً على الأبعاد الفقهية أو السياسية أو الروحية، بينما ظل البعد (الفلسفي - النقدي)، وتحديداً منهجه في تحليل انحراف القيم وتاريخ الفتنة، مهمشاً.
3. لم تُتجز - في حدود اطلاع الباحث - دراسة منهجية واحدة تربط بشكل مباشر بين أدوات التحليل الجينياولوجي الحديثة وفكر الإمام علي (عليه السلام) بهدف بناء نموذج نقدي بديل. هذه الفجوة هي ما تحاول هذه الدراسة أن تسد جانباً منه.

ثالثاً: أهداف البحث

- يسعى البحث من خلال هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:
1. تحليل مفهوم الجينياولوجيا كما تبلور عند (نيتشه وفوكو)، والوقوف على علاقته بنسبية المعايير وإشكالية الحقيقة.
 2. استخراج الملامح الجينياولوجية الكامنة في فكر الإمام علي (عليه السلام) من خلال تحليل نصوصه في "نهج البلاغة"، مع التركيز على منهجه في تحليل نشأة الانحراف.
 3. بيان الفروق البنوية الجوهرية بين النموذجين.
 4. اقتراح تصور أولي لـ "جينياولوجيا الحق" بوصفها نموذجاً بديلاً يستلهم فكر الإمام علي (عليه السلام).

رابعاً: منهجية البحث

- يعتمد البحث على تكامل ثلاثة مناهج:
- المنهج التحليلي النصي: للعودة إلى نصوص "نهج البلاغة" وتحليلها فلسفياً، مع الوعي بإشكالية توثيق بعضها.
 - المنهج المقارن: للموازنة بين النموذج الغربي والنموذج العلوي.
 - المنهج التاريخي النقدي: لتتبع تطور مفهوم الانحراف في سياق الأحداث التاريخية التي عايشها الإمام (عليه السلام).

خامساً: الدراسات السابقة

يمكن تصنيف الدراسات ذات الصلة في ثلاث فئات:

1. دراسات الجينياالوجيا الغربية: وتشمل نصوص نيتشه (2006) وفوكو (1977) التأسيسية، إضافة إلى نقد هابرماس (1987) الذي أشار إلى "التناقض الأدائي" في فكر فوكو، ونقد تشارلز تيلور (1984) لإشكالية المعيار لديه.

2. دراسات فلسفة الأخلاق الإسلامية: مثل أعمال محمد عابد الجابري (2001) حول "العقل الأخلاقي العربي"، وأعمال طه عبد الرحمن (2000) في نقده للنسبوية الغربية وتأسيسه لمفهوم "الانتمانية".

3. دراسات فكر الإمام علي (عليه السلام): على غرار أعمال مرتضى مطهري (2001) ومحمد حسين فضل الله (1996)، التي ركزت على الجوانب السياسية والروحية أكثر من الجوانب الجينياالوجية النقدية.

ويخلص الباحث من هذا الاستعراض إلى أن الفجوة البحثية تكمن تحديداً في غياب دراسة منهجية تربط بين الجينياالوجيا الحديثة وفكر الإمام علي (عليه السلام) بهدف استخراج نموذج جينياالوجي بديل ومستتب.

1. المبحث الأول: الجينياالوجيا الحديثة من نقد الأصل إلى نسبية القوة

1.1. جينياالوجيا نيتشه: تفكيك الأصل واكتشاف إرادة القوة

يمثل كتاب "في جينياالوجيا الأخلاق" (1887) قطيعة معرفية حاسمة، إذ لم يعد السؤال الفلسفي هو: "ما أسس الأخلاق؟"، بل صار: "كيف نشأت مفاهيم الخير والشر؟ وما علاقتها بإرادة القوة؟"، وفي تحليله الشهير، يكشف نيتشه عن ثنائية "أخلاق السادة" و"أخلاق العبيد"، فالسادة، الأقوياء، أطلقوا لفظ "خير" على صفاتهم هم (القوة، الشجاعة)، بينما قام العبيد، بدافع من "الاستياء" والعجز، بقلب القيم: جعلوا صفات الضعف (التواضع، المسكنة) "خيراً"، وصفات القوة "شراً" (Nietzsche, 2006, pp. 25-28). وهكذا، يخلص نيتشه إلى أن القيم الأخلاقية ليست حقائق أزلية، بل تعبيرات عن إرادة القوة.

1.2. جينياالوجيا فوكو: من تحليل القيم إلى تحليل الخطاب والسلطة

نقل فوكو الجينياالوجيا من مستوى تحليل القيم إلى مستوى تحليل الخطابات والممارسات. في مقاله المؤسس "نيتشه، الجينياالوجيا، التاريخ" (1971)، يميز فوكو بين البحث عن "الأصل" (Ursprung) الذي يفترض جوهرًا ثابتاً للأشياء، وبين التحليل الجينياالوجي الذي يتتبع "الانبثاق" (Entstehung) و"التكوين"

(Herkunft). الجينولوجيا عنده تكشف أن "ما يوجد في بداية الأشياء ليس الهوية الخالدة، بل الخلاف بين الأشياء، والصراع بين القوى" (Foucault, 1977, p. 142). وقد طبق فوكو هذا المنهج ببراعة على تحليل ظواهر مثل الجنون والجريمة والجنسانية، مبيناً كيف أن ما نعتبره "حقيقة" أو "طبيعة" إنما هو نتاج خطابات وممارسات مؤسسية مرتبطة بالسلطة (Foucault, 1977, p. 194)

1.3. المأزق المعياري للنموذج الحديث

على الرغم من قوته النقدية، يواجه المشروع الجينولوجي الحديث مأزقاً فلسفياً عميقاً: إذا كانت كل حقيقة نتاجاً للسلطة، فكيف يمكن نقد السلطة؟ بأي معيار نميز بين خطاب سلطوي وآخر مقاوم؟ ألا يؤدي هذا إلى نسبية شاملة تفرغ النقد من معناه؟ هذا ما أسماه هابرماس "التناقض الأدائي" (Habermas, 1987, p. 279) إن غياب معيار متعالٍ يحوّل النقد إلى مجرد لعبة قوى أخرى، ويجعل من الصعب الدفاع عن قيم مثل "العدالة" أو "التحرر" بوصفها أكثر من مجرد تفضيلات ذاتية. هذا العجز المعياري هو ما يفتح الباب أمام البحث عن نموذج جينولوجي بديل، يحتفظ بالأداة النقدية دون أن يذوب في النسبية.

2. المبحث الثاني: ملامح الجينولوجيا الأخلاقية في فكر الإمام علي (عليه السلام)

2.1. معيارية الحق: "اعرف الحق تعرف أهله"

تشكل هذه الكلمة القصيرة للإمام علي (عليه السلام) - "اعرف الحق تعرف أهله" (البلاذري، 1974، ص239) - أساساً لنظرية معرفية أخلاقية فريدة، إنها تقلب المنطق السائد الذي يجعل معرفة الحق تابعة لمعرفة الرجال، ففي الثقافة السياسية والاجتماعية السائدة، إن السلطة أو الصحبة أو القربى هي من تمنح الشرعية، ثم يتبنون ذلك باعتباره "الحق" ومعيار، أما الإمام علي (عليه السلام) فيفصل بين المعيار والرجال: الحق سابق على الرجال، وهو معيارهم، لا هم معياره، هذا التأسيس النظري هو حجر الزاوية في جينولوجيا غير نسبية، لأنه يبقي على معيار ثابت ومستقل يمكن بواسطته محاكمة الأشخاص والأفعال والخطابات.

2.2. فكرة "الرين": جينولوجيا الانحراف الإدراكي

إذا كان الحق معياراً ثابتاً، فكيف يحدث الانحراف؟، وللإجابة على ذلك يقدم الإمام علي (عليه السلام) تحليلاً عميقاً يركز على العلاقة بين الحالة الأخلاقية للنفس وقدرتها على الإدراك، ويستشهد الإمام (عليه السلام) بقصة إبليس الذي عصى ربه بعد ستة آلاف سنة من العبادة "عن كبر ساعة واحدة" (جمع الشريف الرضي، 1967، ص287)، الكبر - وهو حالة نفسية وأخلاقية - سبب رفضاً إرادياً للأمر الإلهي، ثم تحول هذا الرفض إلى عداوة، ثم إلى مصدر لانحرافات لا تنتهي. هذه العملية تذكرنا بما يشير إليه القرآن الكريم

بـ "الرَّين" في قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (سورة المطففين، آية 14)، الآلية الجينيولوجية هنا واضحة: الأفعال السيئة المتكررة تتحول إلى حالة تراكمية (رين) تغطي القلب وتحجب عنه رؤية الحق الذي كان يراه بوضوح، فالانحراف ليس مجرد خطأ معرفي، بل هو عملية تراكمية يفسد فيها السلوك الإدراك

2.3. نقد السلطة وتفكيك خطاب الفتنة

يتجلى المنهج الجينيولوجي للإمام علي (عليه السلام) بوضوح في تحليله للفتنة، فهو لا يكتفي بوصفها، بل يشخص آلياتها النفسية والاجتماعية، في وصفه للفتنة بقول: " فَإِذَا الْفِتْنَةُ أَقْبَلَتْ شَبَّهَتْ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ نَبَّهَتْ. تَنْكُرُ مُقْبِلَةً، وَتُعْرِفُ مُدْبِرَةً" (جمع الشريف الرضي، 1967، ص 137)، هذا التحليل يضيء الآلية المركزية لعمل الفتنة: إنها تلبس ثوب الحق، وتظهر بمظهر الإصلاح، فلا يعرفها الناس إلا بعد فوات الأوان، مهمة التحليل الجينيولوجي، من هذا المنظور، هي كشف وجه الفتنة وهي "مقبلة"، أي تشخيص الانحراف في طور تكوينه قبل أن يستحكم ويصبح واقعاً مفروغاً منه.

وفي تحليله لأحداث الجمل، يكشف الإمام علي (عليه السلام) عن التناقض الذي يعيشه خصومه: "والله ما أَتَكْرَهُوا عَلَيَّ مُنْكَرًا... وَإِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقًّا هُمْ تَرَكُوهُ، وَدَمًا هُمْ سَفَكُوهُ" (جمع الشريف الرضي، 1967، ص 63)، هذا النوع من التحليل يشبه إلى حد بعيد منهج فوكو في كشف "الاستراتيجيات الخطابية" المتناقضة، لكنه يتميز عنه بوجود معيار ثابت للحق يسمح بإصدار حكم أخلاقي واضح على هذا التناقض.

3. المبحث الثالث: نحو نموذج "جينيولوجيا الحق"

3.1. الفروق البنيوية بين النموذجين

يمكن تلخيص الفروق الجوهرية بين الجينيولوجيا الحديثة والجينيولوجيا العلوية في كالتالي: بعد التحليل الذي قدمناه، يمكننا أن نعقد مقارنة بنيوية دقيقة بين النموذجين، تبرز نقاط الالتقاء والافتراق الجوهرية. أما على مستوى الهدف، فإن الجينيولوجيا الحديثة، سواء في صيغتها النيتشوية أو الفوكوية، تنحو نحو التفكيك؛ فهي تسعى إلى الكشف عن الجذور الأرضية للقيم الأخلاقية، وإظهار كيف أنها ليست حقائق مطلقة، بل تعبيرات عن إرادة القوة أو نتاج لشبكات السلطة والخطاب، هدفها الأساسي هو فضح الادعاءات الميتافيزيقية، وتقويض كل معيار يدعي الثبات والتجاوز، في المقابل، تتجه الجينيولوجيا العلوية نحو التشخيص والإصلاح، إنها لا تهدف إلى تفكيك الحق نفسه، بل إلى كشف مسارات الانحراف عنه، وتمييز الآليات التي تجعل الناس يبتعدون عن المعيار الثابت. إنها أداة لاستعادة الوضوح الأخلاقي لا لتقويضه.

وأما على مستوى الحقيقة ومعيارياتها، فإن الفارق يصبح أكثر وضوحاً وجذرية، في النموذج الحديث، الحقيقة ليست سابقة على السلطة، بل هي منتجة فيها وبواسطتها، يقول فوكو بصراحة إن الحقيقة "شيء من هذا العالم، إنها تنتج هنا بفضل إكراهات متعددة"، وهذا يعني، منطقياً، أنه لا توجد حقيقة خارج إطار الصراع، وأن كل خطاب يدعي الحقيقة هو بالضرورة ممارسة للسلطة، أما في فكر الإمام علي (عليه السلام)، فالحقيقة - أو الحق - هي معيار سابق ومتعالٍ على صراعات التاريخ، هي ليست نتاجاً للسلطة، بل هي الميزان الذي توزن به السلطة نفسها، عبارة "اعرف الحق تعرف أهله" تفصل فصلاً تاماً بين المعيار (الحق) وموضوع القياس (الرجال)، وتجعل من الأول مرجعاً للثاني لا العكس، هنا يكمن جوهر الاختلاف: الجينالوجيا الحديثة تؤرخ للحقيقة فتذيبها، بينما الجينالوجيا العلوية تؤرخ للانحراف عنها فتحافظ عليها.

وأما على مستوى مفهوم الانحراف، فإن الفارق النظري يترتب على ما سبق، في النموذج الحديث، لا معنى للحديث عن "انحراف" أخلاقي بالمعنى الدقيق، لأن المعايير ذاتها نسبية ومتغيرة، ما نعتبره انحرافاً في حقبة ما، قد يكون هو القيمة السائدة في حقبة أخرى، وكلاهما مجرد تعبير عن إرادة قوة مهيمنة، أما في النموذج العلوي، فإن الانحراف مفهوم مركزي وأساسي، وهو لا يعني مجرد الاختلاف في الرأي، بل يعني الخروج الموضوعي عن معيار الحق الثابت، هذا الانحراف ليس مجرد خطأ معرفي عابر، بل هو عملية تراكمية معقدة، لها جذورها النفسية العميقة (مثل الكبر والحسد والطمع)، ولها آلياتها الاجتماعية والسياسية التي تتجلى في الفتنة التي "تشبه" وهي مقبلة.

وأخيراً، على مستوى وظيفة التحليل، نجد أنفسنا أمام غايتين مختلفتين تماماً، التحليل الجينالوجي في النموذج (النييتشوي - الفوكوي) هو أداة للتفكيك وفضح المسلمات؛ وظيفته أن يهدم الأنساق الفكرية المغلقة، وأن يكشف عن علاقات القوة المستترة، لكنه لا يقدم بديلاً معيارياً، لأنه يرفض فكرة البديل المعياري ذاتها، أما التحليل الجينالوجي عند الإمام علي (عليه السلام)، فوظيفته الأولى هي التشخيص والتمييز، إنه يسعى إلى أن يميز الناس الحق من الباطل، والهدى من الضلال، والصالح من الطالح. وهو ليس تأملاً فلسفياً مجرداً، بل هو مقدمة ضرورية للعمل والإصلاح والتغيير، إن فهم آلية "الرين" مثلاً، ليس لمجرد الفهم، بل لإزالته، وكشف وجه الفتنة وهي "مقبلة" ليس لمجرد المعرفة، بل لتجنبها والتحذير منها، هذا التوجه العملي والإصلاحي هو ما يمنح الجينالوجيا العلوية روحها وفعاليتها المميزة.

بهذه الفروق البنيوية، يتضح أن النموذجين، على الرغم من اشتراكهما في الاسم وفي آلية التتبع التاريخي، يسيران في اتجاهين متعاكسين: الأول نحو هدم كل معيار، والثاني نحو استعادة المعيار بوصفه أداة للنقد والمقاومة والإصلاح.

معيّار المقارنة الجينيالوجيا الحديثة (نيتشه/فوكو) الجينيالوجيا العلوية
الهدف تفكيك الادعاءات الميتافيزيقية وكشف جذور القيم في إرادة القوة، تشخيص مسارات الانحراف
عن معيار ثابت بغرض الإصلاح.
موقف الحقيقة نتاج للسلطة والخطاب، نسبية وتاريخية، معيار ثابت وسابق على السلطة، يمكن معرفته
بالعقل والقلب السليم.
مفهوم الانحراف لا معنى له؛ فالقيم ذاتها نسبية، مفهوم مركزي، وهو الخروج عن المعيار الثابت وله
آليات نفسية واجتماعية.
وظيفة التحليل التفكيك وفضح المسلّمات، التشخيص والتمييز بين الحق والباطل لتمهيد طريق
الإصلاح.

3.2. نحو جينيالوجيا غير نسبوية

يقدم النموذج العلوي مخرجاً من مأزق النسبوية عبر التمييز بين "ثبات المعيار" و"تاريخية الانحراف"،
فالحق في ذاته ثابت لأنه مستمد من الوحي والفطرة، أما فهم الناس لهذا الحق، وقدرتهم على تطبيقه، فهي
التي تخضع للعوامل التاريخية والنفسية والاجتماعية، الجينيالوجيا الأخلاقية، في هذا السياق، لا تدرس تغير
الحق، بل تدرس تغير علاقة الناس به، إنها تدرس "الرين" الذي يغشي الأبصار، و"الفتنة" التي تشبه الحق
وهي باطلة، وآليات توظيف السلطة للقيم، وبهذا، تحتفظ الجينيالوجيا بقوتها النقدية في كشف زيف الخطابات
وتفكيك آليات الهيمنة، ولكنها تفعل ذلك انطلاقاً من أرضية معيارية صلبة، مما يجعل النقد ذا معنى
وفاعلية.

الخاتمة

خلصت هذه الدراسة إلى أن فكر الإمام علي (عليه السلام) يتضمن بذوراً لجينيالوجيا أخلاقية فريدة،
في قلب هذا الفكر، يقوم الحق بوصفه معياراً ثابتاً ومستقلاً عن صراعات القوة، بينما يُفهم الانحراف بوصفه
عملية تاريخية ونفسية معقدة يمكن تحليلها وتشخيصها. على عكس الجينيالوجيا (النيتشوية - الفوكوية) التي
تذيب المعايير في شبكات السلطة، تقدم الجينيالوجيا العلوية نموذجاً للنقد يحتفظ بإمكانية التمييز الأخلاقي
والدفاع عن الحق، إنها ليست مجرد أداة للتفكيك، بل هي منهج للإصلاح والتقويم.
هذا النموذج يفتح آفاقاً مهمة للفكر الإسلامي المعاصر، فهو يوفر إطاراً لفهم كيفية تحول القيم الدينية
إلى أدوات للتبرير السياسي، دون أن يعني ذلك أن القيم الدينية ذاتها باطلة أو نسبية، كما أنه يقدم أساساً

متيناً لنقد الممارسات السلطوية التي تستخدم الدين غطاءً لها، إن إعادة اكتشاف هذه الجينياالوجيا الأخلاقية في تراثنا ليست ترفاً أكاديمياً، بل هي ضرورة لاستعادة القدرة على النقد والمقاومة في زمن طغت فيه النسبوية وتشابكت فيه الخطابات.

الاستنتاجات

بعد هذا المسار الطويل من التحليل والمقارنة، يخلص الباحث إلى مجموعة من الاستنتاجات:

أولاً: تختلف الجينياالوجيا العلوية بنيوياً عن الجينياالوجيا النيتشوية - الفوكوية، ليس في أدواتها التحليلية فقط، بل في غاياتها ومرتكزاتها، فهي تحتفظ بإمكانية النقد دون أن تدوب في النسبوية، وتكشف عن تاريخية الانحراف دون أن تتكرر ثبات المعيار.

ثانياً: تشكل معيارية الحق محوراً مركزياً في فكر الإمام علي(عليه السلام)، وتتجلى بوضوح في مقولة "اعرف الحق تعرف أهله" التي تقدم نظرية معرفية أخلاقية فريدة، تفصل بين الحقيقة وتمثلاتها البشرية، وتجعل الأشخاص خاضعين للمعيار لا العكس.

ثالثاً: يقدم الإمام علي(عليه السلام) تحليلاً دقيقاً لآليات الانحراف، تبدأ بفساد الإرادة (الكبر، الحسد، الطمع)، ثم تتحول إلى تشويه إدراكي (الرين على القلب)، ثم إلى تحويل للقيم وتوظيفها سياسياً، وهو ما يمثل جينياالوجيا أخلاقية متكاملة.

رابعاً: يمكن تطوير هذا النموذج لمواجهة أزمات الأخلاق المعاصرة، خصوصاً في المجتمعات الإسلامية التي تعاني من استقطاب حاد بين تيارات نسبوية تذيب المعايير، وتيارات دوجمائية تخطئ بين الحق وتمثلاتها التاريخية له.

خامساً: تفتح هذه المقارنة أفقاً جديداً للدراسات الإسلامية المعاصرة، يدعو إلى قراءة التراث قراءة منتجة، تستخرج منه إجابات عن أسئلة راهنة، وتجاوز الفلسفات المعاصرة من موقع ندية لا تبعية.

مناقشة الاستنتاجات

قد يُعترض على هذا البحث بأن المقارنة التي أجراها بين فكر الإمام علي(عليه السلام) والجينياالوجيا الحديثة تنطوي على قدر من الإسقاط، أي قراءة التراث بمفاهيم غربية معاصرة، يدرك الباحث هذا الإشكال،



ويقر بأن أي مقارنة من هذا النوع تحمل في طياتها خطر الإسقاط، غير أن الدفاع عن المنهج المقارن يقوم على عدة اعتبارات:

أولاً: التشابه المنهجي بين ما يقوم به الإمام علي (عليه السلام) من تحليل لجذور الفتنة وآليات الانحراف، وبين ما تقوم به الجينالوجيا الحديثة من تتبع لتشكّل الخطابات، يبرر إجراء المقارنة، مع الحفاظ على الوعي الدائم بالفروق السياقية والمرجعية.

ثانياً: الهدف من المقارنة ليس إثبات أن فكر الإمام علي (عليه السلام) "نيتشوي" أو "فوكوي"، بل إبراز خصوصيته وتميزه، وإظهار كيف يمكن لنموذج مغاير أن يسهم في حل إشكاليات النموذج الغربي، المقارنة هنا تكشف الاختلاف لا التشابه.

ثالثاً: يمكن مقارنة النموذج العلوي بفلسفة ألسدير ماكنتاير في "بعد الفضيلة" (1981) و"من العدالة؟ أي عقلانية؟" (1988)، حيث حاول إحياء مفهوم الفضيلة الأرسطية في مواجهة النسبوية الحديثة، هناك تقارب بين مشروع ماكنتاير في نقده للحدثاء الأخلاقية، ومشروع الإمام علي (عليه السلام) في تأسيس نقد أخلاقي غير نسبي، هذه المقارنة تبقى مفتوحة لمزيد من البحث.

رابعاً: يمكن تطبيق النموذج الجينالوجي العلوي على ظواهر معاصرة، مثل تحليل خطابات الإسلام السياسي، أو تفكيك آليات التكفير، أو نقد الممارسات السلطوية التي تستخدم الدين غطاءً. هذا التطبيق سيكون اختباراً حقيقياً لقيمة النموذج وجدواه.

التوصيات

بناءً على ما تقدم، يوصي الباحث بما يلي:

أولاً: إجراء دراسة تطبيقية موسعة على أحداث الفتنة الكبرى (الجملة، صفين، النهروان) باستخدام أدوات الجينالوجيا الأخلاقية، لتحليل الخطابات والممارسات وكيفية تشكل الانحراف في تلك السياقات التاريخية.

ثانياً: مقارنة النموذج العلوي بفلسفة ألسدير ماكنتاير في نقده للحدثاء الأخلاقية، ومحاولة بناء حوار بين المشروعين حول إمكانية تأسيس أخلاق فضيلة في عالم ما بعد الحدثاء.

ثالثاً: توسيع البحث في الجينالوجيا القرآنية، أي تحليل كيفية تعامل القرآن مع ظاهرة الانحراف التاريخي (قصص الأمم السابقة، تحليل نفاق المنافقين، كشف آليات التبرير)، واستخراج ملامح جينالوجية من النص القرآني نفسه.





رابعاً: تطوير نظرية معرفية إسلامية معاصرة تستوعب النقد الجينالوجي دون أن تنوب فيه، وتقدم إجابات عن إشكالية التحقق والتمييز بين الحق والانحراف.
خامساً: عقد مؤتمر علمي حول "الجينالوجيا الأخلاقية في التراث الإسلامي" يشارك فيه باحثون من مختلف التخصصات (فلسفة، تاريخ، تفسير، نقد) لتعميق النقاش وتوسيع آفاقه

المصادر:

- القرآن الكريم.
- [1] البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر. (1974). أنساب الأشراف (تحقيق محمد باقر محمودي) (ط. 1). بيروت. مؤسسة الأعلمي
 - [2] الشريف الرضي، محمد بن الحسين بن موسى. (1967). نهج البلاغة (تحقيق صبحي الصالح). بيروت: دار الكتاب اللبناني.
 - [3] الجابري، محمد عابد. (2001). العقل الأخلاقي العربي: دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية (ط. 1). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
 - [4] عبد الرحمن، طه. (2000). سؤال الأخلاق: مساهمة في النقد الأخلاقي للحدثاثة الغربية (ط. 1). الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
 - [5] فضل الله، محمد حسين. (1996). الإمام علي: قيم ومثل (ط. 1). بيروت: دار الملاك.
 - [6] مطهري، مرتضى. (2001). العدل الإلهي (ترجمة جعفر الهادي، ط. 1). قم: مركز الرسالة.
 - [7] Foucault, M. (1977). *Nietzsche, genealogy, history*. In D. Bouchard (Ed.), *Language, counter-memory, practice: Selected essays and interviews* (D. Bouchard & S. Simon, Trans., pp. 139–164). Cornell University Press. (Original work published 1971)
 - [8] Habermas, J. (1987). *The philosophical discourse of modernity* (F. Lawrence, Trans.). MIT Press.
 - [9] Nietzsche, F. (2006). *On the genealogy of morality* (C. Diethe, Trans.). Cambridge University Press. (Original work published 1887)
 - [10] Taylor, C. (1984). *Foucault on freedom and truth*. *Political Theory*, 12(2),





152-183.

العدد الثامن عشر - آب / ايلول - Sept August - 2026

